الحياة الإلكترونية للقصيدة

من الزِّراعة إلى الصِّيناعة وصوِّلا إلى عصر المعلوماتيَّة كانت الحضارة تصعد، وكان كلٌّ عصر يترك أثره على الفنون فيضيف إليها ما يواكب هذا التَّطوُّر، ويهزُّها برياح التغيير، ومن بين هذه الفنون الشِّعر.

فماذا صنعت الثورة المعلوماتيَّة بالقصيدة؟

من سمات الثورة المعلوماتي " ق التواصل الآني "، وسرعة الوصول، والتعل " ُم الذ " َاتي، وتوفير الكلفة والوقت، إن " يها سمات فتحت باب الت ّ تجريب على كل " ِ شيء، وحاولت أن تذل لل كل ّ َ شيء من خلال الوسائط العديدة، فلتكن التكنلوجيا إ ِذاً المتناً اللقصيدة بداً لا من المشافهة والمتون الورقي " َة، وبالتالي سيتلق القارئ بشكل مباشر ومستمر.

الذين ينادون بالأدب التفاعلي ويعدّ ُونه أمرًا حتميًّا، يبرّ ِرون ذلك بغلبة الوسائط الإلكترونيَّة على حياة إنسان اليوم، فلماذا لا تكون القصيدة ضمن هذه الوسائط بدًّلا من بقائها في أروقة الجامعة ونومها في الدواوين؟

لماذا لا نجعل المتلقّ ِي فاعًلا في النّ َص عن طريق الكلمة والصوت والصورة والحركة المتاحة في هذه الوسائط، فيكون مشاركًا المؤلّف في صناعة القصيدة بالإضافة والتغيير؟

القصيدة عاشت ردحًا من الزَّ من في الورق، نتفاعل معها عبر القراءة والنقد، ولكنَّ هذا التَّ على محدود النَّ طاق، غير أنَّ التفاعل في الفضاء الإلكتروني لا حدَّ له، وله قابليَّ ة الانفتاح على وسائل أخرى لا تتجاوب معها القصيدة الورقية، وهذا مبرِّ ر آخر للاحتفاء بالأدب التفاعلي، وبالتالي يصبح الأمر ضرورة من أجل خلق حياة إلكترونية للقصيدة، والدخول إلى ما يسمَّ مَ بـ(النَّ مَّ المتفرِّ ع) حسب ترجمة د. حسام الخطيب لـ(Hypertexts)، ويعني هذا أنَّ المصطلح وافد علينا من ثقافة أخرى، وإن كان له شواهد عربيَّ ة تشابهه في عمليَّ ة التفرِّ عُ كالشَّ روحات القديمة على المتون والحواشي، على حد تعبير د. الغذَّ امنٍ، أو الشَّ عر الهندسي حسب د. فاطمة البريكي، لكنَّ ها شواهد لا علاقة لها بالتكنولوجيا.

وبعد ُ، لنا أن نسأل: هل يمكن للتّ ُكنولوجيا أن تصنع قصيدة؟

من البدهيَّات أنَّ القصيدة تتطلَّب إحساسًا خالصًا ومعاناة وتجربة ذاتيَّة، والتكنولوجيا فاقدة لهذا المعنى.

القصيدة التفاعليَّة تحاول أن تجعل عمليَّة الإبداع مشتركة في مساحة لا حدود لها، وبمزيد من التفرُّعات غير المنتهية، بطرق لم تألفها الذائقة الإبداعية بعد ُ، ولكن قد تفسد الذَّوق العام؛ نظرًا لسهولة التعامل معها إلكتروني"ًا لدى بعض التقنيين من غير الشُّعراء والمتطفلين، فيقومون بالإضافات المشوِّهة.

الشّعر تختلف طبيعته عن أي كتابة أخرى، فهو يقوم على لغة ٍ لا تؤدّ ِي إلى معرفة بقدر ما تؤدّ ِي إلى الشّعر تختلف طبيعته عن أي كتابة أخرى، فهو يقوم على لغة ٍ لا تؤدّ ِي إلى معرفة بقدر ما تؤدّ ِ حذف ٍ الإدهاش والإمتاع، وإنّ أيّ محاولة للعبث في إعادة القصيدة عبث في ذاتيّ َة المبدع، وأيّ حذف ٍ منها سيقتل فيها الإدهاش المتولّ ِد من تفاعل النّ ص مع لغته وصوره، كما سيضيّ ع معها ملامح َها، وهويّ تها، وملكيّ تها الفرديّ َة.

إنَّ عمليَّة التفاعل الإلكتروني المفتوحة تُفقد القصيدة اللَّ ُعبة َ الشِّعريَّة، فتطغى عليها اللَّ ُعبة الإلكترونيَّة، وتدخل عناصر غير شعريَّة عليها.

وتظلُّ ُ الأحكام معلَّ َقة إلى أن تأخذ تجربة المزج بين القصيدة والتكنولوجيا مدى أوسع.